

المحاضرة الرابعة: الأسلوبية الإحصائية

يعد البعد الإحصائي من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن بواسطتها تحديد الملامح الأساسية للأساليب، أو التمييز بين السمات اللغوية التي يمكن اعتبارها خواصا أسلوبية، والسمات التي ترد في النص ورودا عشوائيا.

من هنا أصبحت للدراسة الأسلوبية الإحصائية أهمية بالغة باعتبارها نموذجا للدقة العلمية، التي لا تترك مجالا لذاتية المحلل كي تنفذ إلى العمل الأدبي

1- مفهوم الأسلوب:

ينظر إلى الأسلوب في المجال الإحصائي على أنه:

- مفارقة أو انزياح أو انحراف عن نموذج آخر من القول يُنظر إليه على أنه معيار، وبالمقارنة بينهما يقع التمييز بين النص المفارق والنص النمط، ويُشترط لجواز المقارنة تماثل المقام بينهما، ويمكن قياس هذا العدول كميا.
- انتقاء أو اختيار يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة، ومجموعة الاختيارات الخاصة بكاتب معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره، وهو ما يسمى بالصمة الأسلوبية.

2- مفهوم الأسلوبية الإحصائية:

تعرف الأسلوبية الإحصائية على أنها محاولة موضوعية مادية في وصف الأسلوب؛ وذلك من خلال إحصاء الوحدات اللغوية التي يمكن إدراكها شكليا في النص إحصاء كميًا، وإخضاعها للعمليات الرياضية، وتقديم بيانات دقيقة ومحددة بالأرقام، والنسب لسمة أو أكثر من السمات اللغوية المتعددة التي يتميز بها نص أدبي معين، ومنها:

أ- استخدام مفردات معينة.

ب- نوع الجمل (اسمية وفعلية، بسيطة أو مركبة ...).

ج- طول الكلمات أو الجمل المستخدمة.

د- تفضيل تشبيهات أو مجازات أو كنايات أو استعارات.

هـ- الزيادة أو النقصان في استخدام صيغ أو نوع معين من الكلمات (صفات، حروف، أفعال، ظروف ...).

فهذه السمات حين تحظى بنسب عالية من التكرار، وترتبط بسياق معين تصبح خواصا أسلوبية.

3- أعلام الأسلوبية الإحصائية:

من أهم أعلام الأسلوبية الإحصائية الذين كان لهم فضل كبير على هذا المجال يمكن أن نذكر:

• جوزيفن ميلز: عصور وأساليب في الشعر الإنجليزي الإنجليزي.

• بيير غيرو: الخصائص الإحصائية للمعجم.

- جونبروز: الحوسبة في النقد الأدبي.
- جورج زيف: السلوك الإنساني ومبدأ أقل جهد.
- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، في العمل الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية.

4- طريقة تحليل الأسلوب تحليلاً إحصائياً:

يقوم التحليل الإحصائي للأسلوب كمنهج يجمع بين الأدب والإحصاء؛ لاستخراج الخصائص الأسلوبية للنص بطريقة رقمية دقيقة على:

أولاً: تحديد الهدف من التحليل:

- هل أريد معرفة خصائص كاتب معين؟
- هل أقارن بين كاتبين؟
- هل أتحقق من نسبة النص إلى مؤلف؟
- هل أدرس تطور أسلوب الكاتب عبر الزمن؟

ثانياً: إعداد النص:

- اختيار نص أو مجموعة نصوص.
- تقسيم النص إلى فقرات، كلمات، جمل، حروف.

ثالثاً: استخراج المؤشرات الإحصائية:

1/ مؤشرات الإيقاع (الموسيقى الداخلية والخارجية):

- عدد التفعيلات وتكرارها، الروي والقافية، التدوير.
- تكرار الأصوات، النبر، التنعيم، طول الفواصل.

2/ المؤشرات المعجمية / المفردات:

عدد الكلمات الكلي، نسبة التكرار، عدد الكلمات المختلفة، متوسط طول الكلمة، أكثر الكلمات تكراراً، معامل التنوع المعجمي.

3/ المؤشرات التركيبية:

- عدد الجمل الاسمية مقابل عدد الجمل الفعلية.
- عدد أدوات الربط.
- نسبة الجمل القصيرة إلى الطويلة.
- متوسط طول الجملة.
- البناء للمعلوم والمجهول والتقديم والتأخير والحذف... .

4/ المؤشرات البلاغية:

- تكرار الصور البلاغية (التشبيه، الاستعارة، الكناية).
- تكرار الأساليب من نداء واستفهام وأمر وتعجب وشرط ونهي.

5/ تفسير النتائج / الدلالة:

- ويراد بها الربط بين الرقم والدلالة الأدبية، مثلاً:
- الجمل القصيرة قد تدل على التوتر.
- كثرة الضمائر تشير إلى ذاتية النص.
- التنوع المعجمي العالي يدل على الثراء اللغوي.

- تكرار الفعل يُعطي إيقاعاً تأكيدياً حركياً.
- كثرة تكرار الأسماء يكشف طابعاً وصفيّاً ثابتاً. وغير ذلك من الدلالات.

4- أهمية التحليل الإحصائي في الدراسة الأسلوبية:

- للتحليل الإحصائي أهمية قصوى في الدراسة الأسلوبية؛ لأنه ينقلها من التحليل الانطباعي الذاتي إلى التحليل المنهجي الدقيق، ويمكن تحديد أهميته في النقاط الآتية:
- حل مشكلات أدبية خالصة كالتحقق من شخصية المؤلف وتوثيق نسبة النص، وفهم التطور التاريخي لكتابات الكاتب، وتحديد الترتيب الزمني لكتابات مؤلف واحد.
 - الإحصاء يقدم المادة التي يدرسها الباحث تقديماً دقيقاً، والدقة مطلب علمي أصيل.
 - الكشف عن البصمة الأسلوبية للكاتب، فكل كاتب خصائص معينه تتكرر في نصوصه (طول الجملة، نوع المفردات، كثافة الأفعال...).
 - فهم البنية الداخلية للنص بتحديد الكلمات المحورية عبر كثافة التكرار، معرفة الحقول الدلالية المهيمنة، ودرجة الثراء اللغوي.

5- محاذير التحليل الإحصائي للأدب:

- رغم الأهمية القصوى التي يكتسبها التحليل الإحصائي للأدب إلا أن الباحثين يحذرون من الإفراط في توظيفه للأسباب الآتية:
- الاعتماد على الجانب الإحصائي يجعله للأدب بلغة غريبة عنه، خارجة عن طرق فهمه وتحليله.
 - أغلبية العمل الإحصائي يحمل في طياته خطر سيطرة الكم على الكيف، مما يُفقد الدراسة الأسلوبية هدفها الأساسي ويُهمل البعد الجمالي للنص.

- هناك مسائل غامضة أو نسبية كالنغمات العاطفية والإيقاع المركب لا تنقاد للدقة الإحصائية.

- قد يرمي التحليل الإحصائي بتقنية الرقم للنص الجانب السياقي، والذي يُعد مطلباً مهماً في التحليل الأسلوبي.

- إهمال القارئ: فالإحصاء يركز على النص باعتباره بنية لغوية، ولا يهتم بتأثير النص في المتلقي وتجربته الجمالية.

مراجع المحاضرة:

- ببير غيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي.
- سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية.
- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب.
- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق.